



الشیخ جلال الحنفي البغدادي سيرته ومنهجه في الدراسة اللغوية

أ.د. طه صالح أمين آغا

قسم اللغة العربية-كلية اللغات- جامعة السليمانية-

إقليم كوردستان- العراق

Taha.amen@univsul.edu.iq

م.م. لاوكو أمير محمد عزيز

قسم اللغة العربية-كلية التربية الأساس- جامعة حلبجة -

إقليم كوردستان- العراق

Lawko.muhammad@uoh.edu.iq

المستخلص

تحاول هذه الدراسة أن تبرز الإسهامات اللغوية والعلمية عند الشيخ جلال الحنفي، التي حفلت بها مؤلفاته، وذلك من خلال دراستها والوقوف عند المنهج الذي سلكه في التأليف، إذ يعدُّ جلال الحنفي واحداً من المتخصصين البارزين في الدراسات العلمية واللغوية. حيث قدم لنا كنزاً غنياً من المؤلفات جاوزت أربعين مؤلفاً، وقد خصت إسهاماته معارف وعلوم مختلفة وظَّفها لخدمة اللغة العربية، في دراسة أصواتها ومعجمها وغيرهما. كل ذلك كان مستمداً من اتساع ثقافته العلمية وتعدد مواهبه. لذلك نسعى في هذه الورقة البحثية أن نستعرض أهم مصادر مادته اللغوية وبيان منهجه في العرض والتحليل. إذ لم يكن الحنفي مجرد ناقل أفكار، بل كانت له نظريات وآراء انفرد بها من بين علماء اللغة، وخصص لها مواضع خاصة للبحث والمناقشة في تضاعيف مؤلفاته، معتمداً فيها على أسلوبه الخاص، وطريقته الفريدة في طرح الأفكار والآراء، على أساس علمي وموضوعي.

الكلمات المفتاحية: المنهج، الصوتيات، الدرس اللغوي، المعجم، اللغة العامية، علم العروض.

Recieved: 11/9/2022

Accepted: 4/10/2022



المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين... فلا تخفى على ذوي الاختصاص مكانة جلال الحنفي العلمية من بين علماء اللغة؛ فهو علم كبير من أعلام الثقافة العراقية، وباحث جليل، لقد عرف هذا الرجل بتعدد مناحي ثقافته، كما عُرف بغزارة الإنتاج وكثرة التأليف، وتميزت دراساته بالأصالة، واتّسمت بطابع الجد والإخلاص. فهو مؤرخ استطاع أن يسجل ما دق وجل من تأريخ بغداد من لغتها وثقافتها وتراثها، وهو ناقد للغة والأدب، وكانت له آراء قيمة ونظرات سديدة. وهو مقالي نستطيع إضافته إلى قائمة المقالين المبدعين. وقد ألف عددًا كبيرًا من الكتب، تناول فيها جوانب مهمة في اللغة، حيث كان يهدف فيها إلى إضافة جديد، أو تصحيح وهم أو خطأ، أو وضع مصطلحات جديدة، لذلك اتسم منهجه بالطابع التجديدي. وقد جاءت مادته الصوتية ثرة؛ وخاصة في كتابه (قواعد التجويد والإلقاء الصوتي)؛ إذ بإمكان هذه المادة أن تُقدّم تصوّرًا واضحًا لفكر الحنفي الذي يتمثل في شمولية قواعد التجويد على الأداء الصوتي، لذلك وقف على أهم ظواهرها وحاول تفسيرها تفسيرًا صوتيًا. وما يخص علم العروض فقد رسم منهجًا واضحًا لهذا العلم وسلكه في كتابه (العروض تهذيبه وإعادة تدوينه) وهو التبسيط والتخليص من التعقيد. أما ما يتعلق بالتأليف في المعجمات فيمكن أن نعدّ الحنفي من أهل الصناعة المعجمية، إذ هو صاحب سلسلة من المعجمات اللهجية وظفها لخدمة التراث البغدادي. من هنا ارتأت هذه الدراسة أن تسجل هذه الإسهامات عنده، وتُصنّفها تصنيفًا علميًا، مبيّنة المنهجية عنده في التأليف، وذلك لإطلاع الدارس على تلك المباحث. وعلى هذا الأساس اقتضت طبيعة بحثنا أن يكون في مبحثين، المبحث الأول شمل جوانب من حياته التي زخرت بالإبداع العلمي الأصيل، من حيث التعريف به والوقوف على أهم المحطات التي كانت لها دور فعّال في تنشيط أفكاره وآرائه، و المبحث الثاني تضمن دراسة جميع مؤلفاته اللغوية وغير اللغوية، فضلًا عن الوقوف على مصادر مادته اللغوية ومنهجه في العرض والمناقشة.

المبحث الأول: سيرته الذاتية والعلمية:

أولاً/ سيرته:

ولد الشيخ جلال محيي الدين بن عبدالفتاح بن مصطفى بن محمود الحنفي في بغداد، في محلة البارودية من جانب الرصافة، التي اتصفت بيوتها بالبساطة، والناس يعيشون فيها حياة اجتماعية هادئة بعيدة عن التعقيد، وانتشرت بينهم روح المحبة والتسامح والتزاور والمساعدة والنخوة، مما انعكس ذلك إيجابًا على سلوك الحنفي في مراحل مختلفة من حياته، التي أدت به لاحقًا أن يكون ذا شخصية متميزة عن سواه، ويجعله مصلحًا كبيرًا لبعض المشاكل الاجتماعية، وأن يتأرأس الجمعيات التي كانت تهدف إلى إرشاد المجتمع وإصلاح أهله (أنوار، ٢٠١٦، ص: ١٥٢٥).

اختلفت كتب التراجم والأعلام في تحديد سنة ولادته الحقيقية، فمنهم من قال إنّه ولد عام ١٩١٢م (بصري، ١٩٩٤، ص: ٥٤٨/١)، ومنهم من قال إنّه ولد عام ١٩١٥م (الآلوسي، ١٩٦٧، ص: ٨٢)، إلّا أنّ أغلب المصادر ذهب إلى أنّ ولادته كانت في عام ١٩١٤م، وهذا الأخير هو الأقرب إلى الدقة، وهو ما أكدّه بنفسه (ستار، ٢٠١٤، ص: ٧).

وينتمي الحنفي إلى عشيرة زيد في مدينة الكوت، ولقب بالحنفي نسبة إلى جده الثالث محمود الذي كان الناس ينادونه آنذاك بالملّا محمود الحنفي، ولقب نفسه أيضًا بالبغدادي لاعتزازه بتأريخ بغداد عاصمة الدنيا بتراثها

وحضارتها وعلماؤها وشعرائها، والذي أصبح هو نفسه فيما بعد تأريخ بغداد يمشي على قدمين، وذلك لكونه مؤرخاً ولغوياً وناقداً (طارق، ٢٠٠٨، ص: ٣٦٧).

أما لقب (الشيخ) الذي اشتهر به بين أهل العلم، فهو ما أسبغته عليه العلامة اللغوي الكبير الأب أنستاس ماري الكرمل في عام ١٩٣٣م، حينما كان يقوم بعمله اليومي المعتاد كإمام لجامع الخلفاء، وذلك لما رآه في شخصية هذا الرجل من ذكاء ونبوغ، وتتبعه القضايا الدينية واللغوية والأدبية (الجبوري، د.ت، ص: ٤٩/٢).

نشأ الحنفي في أسرة عراقية بغدادية متواضعة صغيرة مكونة من والده ووالدته وشقيقته (فتحية)، وكان والده يتهن مهنة الحلاقة آنذاك، ف« ترعرع الحنفي في كنف المدينة و تفاعل و أثر وتأثر بحراك الثقافة والوعي والمفاهيم المدنية آنذاك، حتى أصبح أحد العناوين التاريخية البارزة للمجتمع المدني في بغداد على غرار أي مكان آخر في العالم» (ليبد، ٢٠١٤، ص: ٣)، هكذا كانت حياته في أول أمرها تقليدية في البيت والمحلة، فتتقّف ثقافة تقليدية جرياً مع العادات والتقاليد التي سادت المجتمع البغدادي في النصف الأول من القرن العشرين، ثمّ اطلع على الحياة البغدادية بكلّ تقاليدها، وحرص على وصفها في كتاباته. كما اطلع على الفكر الأجنبي والعربي من أقطار أخرى، وحاول أن يترك بصمته أينما ارتحل، وأن يجمع بين أصول الفكر التقليدي وبين مقتضيات التطور الذي شهدته العلوم ومن ضمنها اللغة العربية في مستوياتها المختلفة.

فكانت المحلة وما حولها، وتنقله من مكان إلى آخر جعله يتعلم فيها اللغة العامية العراقية الصميمية، من ألفاظها وأساليبها وأمثالها وشعرها ونغمها، وقد حاول تدوينها ودراستها فيما بعد في ثانيا مؤلفاته، وسنأتي إليها في موضعها في هذه الدراسة.

ثانياً/ دراسته:

إنّ أوّل مدرّسة بدأ فيها تعلّمه للمبادئ الأولى للألف والباء كانت الكتاتيب، ففي عام ١٩١٩م سافر الحنفي مع أسرته الصغيرة إلى البصرة، والتحق بكتّاب جامع العرب، والكتاب عبارة عن صف مصغر ملحق بالجامع، يتعلم فيه الطلاب قراءة القرآن الكريم وحفظ بعض سوره، وقد أتم الحنفي وهو في الكتاتيب قراءة القرآن الكريم في بضعة أشهر (أنوار، ٢٠١٦، ص: ١٥٢٥). يقول الحنفي: « لم نكن نملك بيتاً فكنا نستأجر بيوتاً في مناطق البارودية، والسيد عبدالله، والقرغول...، وكان الطفل في بغداد، يدخلونه في الكتّاب ليتعلم القرآن الكريم، وعندما يختمه، يخرج الأطفال في الطريق بخط طويل ويذهبون إلى بيتهم ويعطوهم الحلويات...وأنا ختمت القرآن الكريم في مدة قصيرة» (مهدي، ٢٠١٤، ص: ١٤).

ولم يمكث الحنفي في البصرة كثيراً حتى عاد مع أسرته إلى بغداد، وسكن في محلة القرغول، وفيها التحق بكتّاب الملا إبراهيم بمسجد الآلات في المحلة نفسها، وكان من زملائه آنذاك كمال السهروردي (طارق، ٢٠١٦، ص: ١٥٢٥). وبعد الكتاتيب دخل الحنفي عام ١٩٢١م مدرسة (التفويض الأهلية) التي كانت موقعها في الحيدرخانة، ومن معلّمها الشيخ قاسم القيسي، وأمين سرحان. وبعد مدرسة التفويض الأهلية دخل المدرسة المأمونية التي كانت مقرها وسط بغداد، ثم انتقل إلى مدرسة التطبيقات التي كان موقعها الأعظمية، وأظهر في هذه المدرسة قدرته على إلقاء الخطب المدرسية (طارق، ٢٠١٦، ص: ١٥٢٦).

ثم بعدها استقر به الأمر في المدرسة البارودية التي كانت تضم فرقة الكشافة، وكان الحنفي أول المنتمين إليها، ويعدّ الحنفي أول طالب يحصل على درجة مئة بالمئة في مادة اللغة العربية بامتحانات البكالوريا للصفوف السادسة الابتدائية عام ١٩٣٢م (مهدي، ٢٠١٤، ص: ١٤).

أكمل الحنفي الابتدائية والتحق بكلية الامام الأعظم، وكانت هذه الكلية بمثابة المتوسطة والإعدادية الدينية، وبعد



ستتين غير اسمها إلى (دار العلوم العربية الدينية).
وقد ابتدأ الدراسة فيها عام ١٩٣٠م، وكان الزي الرسمي لطلاب الكلية الجبة والعمامة، وكان دوامها ينقسم على قسمين صباحا ومساءً، وكان الحنفي طالباً في الدوام الصباحي، وكان للطالب راتب شهري قدره ثمانية روبيات، والدراسة فيها خمس سنوات (طارق، ٢٠٠٨، ص: ٣٦٧).

وقد عمل الحنفي أيام شبابه مصححاً ومحرراً في بعض المجلات، إذ كان رئيساً لتحرير مجلة (الناشئة الإسلامية الأسبوعية)، وفي عام (١٩٣٩م) أصدر مجلة (الفتح) الأسبوعية في بغداد التي كانت تبحث في الدين والأدب والموسيقى. كما كتب عشرات المقالات ونشرها في مجلات مرموقة في زمانه منها: مجلة (التراث الشعبي)، و مجلة (المورد)، ومجلة (الرسالة) وغيرها.

وكان يتصل في أيام دراسته بثلة كبيرة من رجال العلم والأدب واللغة، على رأسهم العلامة الأب أنستاس ماري الكرمل، الذي كان له أثر كبير في تنشيط فعالية الحنفي في حقول الأدب والمعرفة من خلال حضوره المنتظم لمجلسه، والتعرف على رواد الفكر العراقي، و بوساطته حصل على الكثير من المعلومات عن الفلكلور والتراث واللغة والذي لا يتسنى له الحصول عليها في مكان آخر، ومن الشخصيات التي كانت لها بصمات واضحة في تطعيم مسيرته التعليمية الشاعر جميل صدقي الزهاوي ولا سيما في مجال الشعر وأوزانه. كما اتصل بالأستاذ طه الراوي، والشيخ محمد القزلي والشيخ عبدالقادر عبدالرزاق وغيرهم (الحنفي، ١٩٩٧، ص: ٣٦٧، و طارق، ٢٠٠٨، ص: ٣٧٢).

ثالثاً/ وظائفه:

تبوأ الحنفي منذ شبابه حتى شيخوخته الوظائف الدينية بمساجد بغداد، والقضاء في محاكمها الشرعية، والتعليم في مدارسها، إلى جانب العمل في الصحافة، والبحث في مختلف المجالات التاريخية والأدبية واللغوية. وقد شغل منصب الإمامة والخطابة لأول مرة عام ١٩٣٥م في جامع المرادية، ثم بعد عام واحد أقصاه مدير الأوقاف محمد بهجت الأثري من منصبه، وأنزله من المنبر، وعزله عن مهنة الخطابة، إذ بلغه أن الشيخ الحنفي كان يلقي خطبة الجمعة بطريقة المقامات البغدادية، فرد عليه الحنفي بقصائد من شعر الهجاء في أكثر من أربعين قصيدة (الأديب ٢٠١٦).

وفي عام ١٩٣٩م سافر إلى مصر ملتحقاً بالأزهر الشريف لمواصلة دراسة العلوم الشرعية. وقد كانت هذه الرحلة نقطة تحول في حياته، إذ أنه «انغمر خلال الحقبة التي عاشها في القاهرة في محافلها الثقافية والتقى بعدد من الشخصيات التي كانت تشكل مجتمع مصر الفقهي أو الثقافي ... أخذ منهم الشيء الكثير، وخاض معهم نقاشات فقهية وتراثية طويلة نشر بعضاً منها في صحف القاهرة كالبلاغ اليومية ومجلة الكشكول الأسبوعية» (طارق، ٢٠٠٨، ص: ٣٧١).

ثم عاد إلى بغداد وإلى مهنته فعمل إماماً وخطيباً في عدد من مساجد بغداد، ولكن لتدخله في شؤون دائرة الأوقاف فصل من وظيفته عام ١٩٥٩م، إلى أن صدر مرسوم جمهوري بإعادته إلى وظيفته لكنه لم يباشر، وفي عام ١٩٦٦م انتدب مشرفاً لغوياً في وزارة الاعلام العراقية. ولم يلبث في هذه الوظيفة إلا قليلاً سرعان ما أوفدته الحكومة إلى الصين، لتدريس اللغة العربية في معهد اللغات في شنغهاي، ومكث حتى عام ١٩٧٠م وأتقن خلالها اللغة الصينية أحسن إتقان، وكتب مسودات لقاموس (عربي - صيني) لم يسبق إليه (الحنفي، ١٩٩٧، ص: ٣٦٦، و محمد، ٢٠١٦، ص: ١٣).

ولم يضع الحنفي عصا الترحال، فكان له رحلات عديدة إلى بعض بلدان آسيا وأفريقيا منها: (سورية



ولبنان، وفلسطين، واليمن، والصومال، وتونس، والجزائر، والمغرب، واليابان، وكوريا الجنوبية)، ولكنّها في الغالب كانت قصيرة، إلّا أنّ أثرها في كتاباته واضح، ولاسيما في محاولاته لتأليف عددٍ من المعجمات الخاصة. ظلّ الحنفي يفضل ممارسة التعليم والصحافة، على الرغم من انشغاله بالإمامة والخطابة في المساجد، وهو في ذلك كلّه يميل إلى ألوان عديدة من النشاط الفكري والثقافي، حسبنا الإشارة إلى تأسيسه جمعية الخدمات الدينية والاجتماعية ورئاسته لها، وكان من أهداف هذه الجمعية كما يقول الحنفي: «مكافحة البغاء والتشرد والفقر» (ستار، ٢٠١٤، ص: ٦).

كما جدّ في نشر العلم بصورة متطورة، فقد درّس في مدارس وزارة المعارف عام ١٩٥٠م، كما درّس في كلية الإمام الأعظم مادة العروض في الشعر والادب العربي من عام ١٩٧٣م إلى عام ١٩٧٨م، كما حاضر في معهد النغم العراقي، و أسس المركز الإقراي العراقي للقرآن الكريم وكان مديراً له. ويذكر أنه عندما كان مدرّساً في معهد الدراسات النغمية درّس اللغة العربية وعلم العروض والمقامات وقد درس في المعهد الكثير من الفنانين وكانوا تلامذة عنده، ومنهم: أحمد نعمة ومحمود أنور وكاظم الساهر)، ولقد ذكره الفنان كاظم الساهر في إحدى المناسبات ذاكرًا فضلّه في تعليم اللغة ومخارج الحروف، بالإضافة إلى إشرافه اللغوي على العديد من المذيعين في إذاعة بغداد، وكان يكتب المقالات الطويلة في الصحف والمجلات العراقية والعربية المرموقة في زمانه، تنقل فيها الحنفي من الدين إلى اللغة إلى الغناء إلى النقد الفني وإلى الموسيقى والتجويد مما يدلّ على تلون ثقافته الموسوعية العالية (السامرائي، ١٩٨٥، ص: ٦٥، و محمد، ٢٠٢٠، ص: ٥).

رابعًا/ وفاته:

توفي في مدينة بغداد فجر يوم الأحد الخامس من شهر آذار عام ٢٠٠٦م، عن عمر يناهز الثانية والتسعين، ودفن في مقبرة الشيخ عمر السهروردي الواقعة في جانب الرصافة من بغداد فبكاه الكثيرون ممن يعرفون قدره. ولعلّ وصيته الأخيرة مفتاح هام في فهم هذه الشخصية الكبيرة، إذ أوصى بعدم إقامة مجلس فاتحة له وتقبل تعازي كل من جاء إلى بيته وحسن ضيافتهم ولم يرد تشييعًا، كما أوصى بدفن نسخة من كتابه (شخصية الرسول الأعظم قرآنيًا) معه وكان آخر ما كتبه بيديه قبل وفاته بساعتين أبيات أربعة من الشعر (أنوار، ٢٠١٦، ص: ١٥٣٢):

فيم لم تغتمض هنالك عيني	يوم أن طال الليل إذ أنا صاح
ما عسى أن تقول عين	إذا امتنعت عن منامها للصباح
كنت عند النهار أشكو سقامًا	زاد فيها الآلام من أتراحي
قد لعمرى أرت في سابق الأيام	لكن ما أن فقدت ارتياحي

المبحث الثاني

آثاره ومنهجه في الدراسة اللغوية:

لقد عاش جلال الحنفي حياة حافلة بالنشاط والعطاء، فترك لنا كنزاً غنياً بالتصانيف التي أودعها علمه في أغلب الفنون، والتي تنم عن علم غزير، ولذا فإنها تأخذ مكاناً خاصاً في المكتبة العربية، لما زخرت به من أفكار وآراء قيّمة، فضلاً عما تمتاز به مؤلفاته من أسلوب سلس عذب لا تكلف فيه.

لذلك نحاول تصنيف مؤلفاته التي قاربت أربعين كتاباً، لكي تتبين لنا تلك الميادين التي برز فيها:

-كتبه غير اللغوية

١-الدين:

لقد برع الحنفي في شتى فنون المعرفة الانسانية الدينية منها والدنيوية، فإذا دار الحديث عن علوم الدين، نراه

يأخذ مكاناً مرموقاً، فهو صاحب مجموعة كتب دينية تمثل نظرته العميقة للإنسان والدين قدم فيها رؤيته العميقة للقرآن الكريم، وعالج فيها موضوعات شتى تتصل بحياة الفرد والمجتمع والحضارة الإسلامية بنظرته الموسوعية وأسلوبه الخاص، مستمداً كل ذلك من نشأته المدنية التي دفعته إلى «أن يبحث دائماً عن التوازن في العلاقة بين المعطيات الحداثية المعاصرة والثقافة الإسلامية الكلاسيكية للمجتمع» (لبيد، ٢٠١٤، ص: ٣). إذ يشهد له معاصره بأنه «إمام رجل دين من طراز آخر، حاول الجمع بين الدين والدنيا جمعاً مريحاً، توسطاً واعتدالاً، ولم يصل إلى لحظة تسييس العلاقة بينهما» (رشيد، ٢٠١٤، ص: ٨).

ويمكن للنظر في مؤلفاته ومواقفه أن يتلمس آثار هذه النظرة، إذ نجده دائماً يحاول التوفيق بين الدين والموسيقى فكتب في الدين واهتم بالمقامات، مع أنه رجل دين لم تفارقه عمامته الضامرة، لكن هذا لم يمنعه أن يحاول تعلم العزف على آلة العود، والذي بسببه تلقى نقداً من الأوساط الثقافية ولا سيما الوسط الديني.

وقد كتب عن شخصية الرسول الأعظم محمد (ﷺ) من خلال كتاب وسمه (شخصية الرسول الأعظم قرآنياً)، وكتب د. حسن أمين مقدمة له، قدم الحنفي شرحاً وافياً عن شخصية الرسول (ﷺ) من خلال تتبعه لتكوين شخصية الرسول (ﷺ) قرآنياً مستقراً الآيات التي ساندت وقومت شخصية الرسول، والكتاب إضافة علمية يدل على دراية الحنفي بعظم هذه الشخصية من خلال فهمه العميق لآيات القرآن الكريم وإحاطته بمعانيه الواسعة (الحنفي، ١٩٩٧، ص: ٣). كما «سيكون له الأثر الكبير في توجيه الدراسات القرآنية وجهة علمية تتميز بطابعها العصري في تقييم شخصية الرسول الأعظم (ﷺ) وأن هذا الكتاب ستكون له أهمية علمية كبيرة في خلق مدرسة عراقية جديدة في دراسة القرآن الكريم» (الحنفي، ١٩٩٧، ص: ٤).

وللحضارة الإسلامية مساحة كبيرة من بين مؤلفاته الدينية، لذلك كتب (الحضارة الإسلامية من خلال الآي القرآني) وقد اعتمد فيه أن يرد على مزاعم الغربيين الذين ينكرون الركن الحضاري في الإسلام بأنهم «سيواجهون بالنصوص الحضارية مشأراً إلى أرقام آياتها وأسماء السور التي وردت فيه» (الحنفي، ٢٠٠٢، ص: ١١). ويبدو أن هذا الكتاب سيكون تهيئاً لمشروع واسع في البحث عن آيات الحضارة في الإسلام، لذلك طالب الباحثين بالتتبع ما في الأحاديث النبوية من مرتكزات الحياة المدنية وجمعها في كتاب ليطلع عليه الناس بسائر اللغات (طارق، ٢٠٠٨، ص: ٣٧٤/١).

ومن ضمن اهتماماته بالتفسير، كتب (معاني القرآن) فبعد قراءته لعشرات التفاسير اتخذ منهجاً في التفسير يقوم على أساس ثابت وهو «ضرورة فهم المسالك الكلامية التي جرى عليها أسلوب القرآن، لأن المهم هو إعطاء مفردات القرآن معانيها الطبيعية المنسجمة على موضوع الجملة والمناسبة لقرائن الكلام والمطابقة لمقتضيات الحال» (طارق، ٢٠٠٨، ص: ٣٨٢/١) فخرج بنتيجة مؤداها «أن القرآن الكريم هو الذي يمنح الكلمة معناها الطبيعي قبل أن تكون الكلمة هي المانحة للقرآن معانيها المرادة» (طارق، ٢٠٠٨، ص: ٣٧٤/١).

لم تقتصر عناية الحنفي بالكتابات الدينية على هذه الموضوعات فحسب، وإنما ألف إلى جانبها كتباً أخرى جمعت ميادين دينية أخرى تناولها بالبحث والاستقصاء ووظفها لخدمة القرآن الكريم والمجتمع، ولعل أبرزها:

التشريع الإسلامي تأريخه وفلسفته ١٩٤٠.

آيات من سورة النساء ١٩٥١.

الفلسفة الصحية في الاسلام ١٩٥٢

نقاش مع الامام الخالصي ١٩٥٣.

صحة المجتمع ١٩٥٤.

الزكاة و فلسفة الاحسان في الشريعة الاسلامية ١٩٥٥.



سنوات في جوار الميتم الإسلامي ١٩٥٥.

الروابط الاجتماعية في الإسلام ١٩٥٦.

المرأة في القرآن الكريم ١٩٦٠.

أحاديث من وراء المايكروفون ١٩٦٠.

الزواج الدائم رد على كتاب الزواج المؤقت ١٩٦٧.

نظام الحكم في الإسلام ٢٠٠١.

٢-الأدب

إنَّ ميدان الأدب جانب آخر من جوانب مسيرته الفكرية، الذي برزت فيه شخصيته الأدبية، وهو شاعر وناقد أدب في الوقت نفسه، ولكنَّ المطَّلِع على كتاباته ومواقفه يرى أنَّها أثارت جدلاً قوياً بين المثقفين والأدباء.

بعدما تعرَّف الحنفي على أوزان الشعر وبحوره في سن مبكر صار يعرف أيَّاً منها الطويل و أيَّاً منها البسيط والخفيف وغير ذلك. فبدأ بنظم الشعر، وإنَّ كان الأمر في بداياته مقتصرًا على كتابة القصائد الشعرية المتنوعة في مادة النشيد إلا أنَّ هذه المراحل وهبته العوامل المساعدة على تنمية تذوقه الأدبي.

وفي عام ١٩٥٦م نشر ديوانه (بقايا ديوان)، وإنَّ ما جاء في توطئة الكتاب من سبب تسمية الديوان، إنَّ عشرات القصائد والمقاطع مما قد نظمت في فترات مختلفة قد فقدت، وهذه الصفحات من الشعر التي تضمنها الكتاب ليس إلا بقايا ديوان» (طارق، ٢٠٠٨، ص: ٣٧٤/١).

أما ما يتعلق بالنقد الشعري فألف عام ١٩٦٢م الجزء الأول من كتابه (الرُّصافي في أوجه وحضيضه)، قام فيه بنقد الشاعر معروف الرصافي نقدًا بيانيًا، وأخذ عليه جملة من المآخذ منها أنه رأى أنَّ ما نظمه الرصافي من الشعر من نحو الفخر والحماسة كان بارع الأداء ظاهر الجودة، أما ما ينظم في غير ذلك من المعاني فإنه يوفق فيها تارة ويفشل أخرى، فضلًا عن الأغلاط المطبعية والتحريف المشوه -حسب رأيه- للفظ والمعنى (الحنفي، ١٩٦٢، ص: ٢-٣).

كتبه اللغوية

كان للشيخ الحنفي في اللغة آراء طريفة، تعرب عن علم دقيق بطبيعة هذه الظاهرة الاجتماعية، ومعرفة واسعة بالقوانين التي تحكمها، وتقف وراء الظواهر التي تبرز فيها. وقد عُني بالظاهرة اللغوية إلى جانب عنايته بالأدب والتراث والدين وغيرها من قضايا اجتماعية أخرى.

والذي يستقري آراء الرجل اللغوية من خلال كتاباته، يجد أنها تسير في ثلاثة مستويات لغوية، الأول علم الأصوات، والثاني علم العروض، والثالث المعجم.

١-الصوتيات:

لقد انصب قسم كبير من مباحث جهود الحنفي على الصوتيات و الموسيقى والعروض، وخصص لها أماكن مختلفة للبحث والدراسة، حاول فيها رسم خطة شاملة، يجمع فيها فكره اللساني والمعرفي تجاه هذه العلوم. ففي الصوتيات كان للحنفي محاولات جادة، للوقوف على أهم القضايا الصوتية، التي لها صلة بعلم التجويد والأداء الصوتي بغية تيسير الدراسة القرآنية على القراء والدارسين. فبعدما رأى في هذا العلم ما أصابه من جمود في بعض مصطلحاته، والتوقف عن الدور الذي يؤديه في المجالات اللغوية والفنية، الذي أصبح فيما بعد محصورًا في مجالات التلاوة التي تتلى في المساجد والمقابر والمآتم... وغيرها (الحنفي، ١٩٨٧، ص: ٩)، وضع عام ١٩٨٧م كتابه: قواعد التجويد والالقاء الصوتي.



يعد هذا الكتاب من الكتب النفيسة التي كرس لأبحاثه جهوداً ضخمة حتى تمت فصوله وضوابطه كأوفي ما تكون الدراسات المعمقة دقةً وإحاطةً ومميزاً، يقول محمد الحبيب عباس في معرض تعريفه بالكتاب: «لقد وفق المؤلف التوفيق الحضيف في اشتراع أنجع الأساليب بإعادة الصلة الطبيعية القائمة بين القرآن، ولغة الضاد من خلال تحري مواصفات الأداء المضبوطة لكلمات القرآن المجيد ونصوص العربية عبر الوسائط المسموعة. وعدا ذلك فتيسير تعلم الأداء الصوتي، وحذق أمثاله، وتبسيط قواعده، واكتساب مهارة النطق السليم والإيقاع البين، والوقوف بالتثنيغيم في مواطنه عند حدوده المناسبة، جميعها، من أجل مقاصد المؤلف، وأهداف التأليف» (الحنفي، ١٩٨٧، ص: ٩). هكذا جمع المؤلف قواعد التجويد وضوابط الإلقاء الصوتي في مشرب واحد. والكتاب من خيرة المصادر في علم الأصوات واللسانيات وذلك لما يقدمه من تعاريف ومصطلحات جديدة وتفسير العمليات الصوتية الوظيفية بأسلوب جديد.

مصادر الحنفي في دراسة الأصوات ومنهجه في عرض المادة الصوتية:

بعد النظر في كتابه (قواعد التجويد والإلقاء الصوتي) ومن خلال دراستي لمباحث الكتاب وجدت أنها على ضربين: الأول: ما كان يتعلق بدراسة الأصوات على مستوى الأفراد، من حيث مخارج الحروف وخصائصها الصوتية، وكذلك على مستوى التركيب من حيث استعمال الحروف في سياقاتها الصوتية المختلفة، كل ذلك وظفها في خدمة القرآن الكريم من خلالها أدائه الصحيح. والوقوف على مواضع الخطأ التي يقع فيها المقرئون. الثاني: ما كان يتعلق بعلاقة علم التجويد بعلوم أخرى منها الموسيقى والنقد الإقراي. أما ملامح هذه المباحث فيمكن عرضها فيما يأتي:

مناقشة المسائل التجويدية والصوتية في القرآن الكريم، دمجاً بين التراث الصوتي العربي القديم ومحاكاة ذلك في الواقع الفعلي.

كان الحنفي منهجياً في تأليفه لهذا الكتاب، إذ حدد الاتجاه الذي سلكه وهو تيسير الدراسة القرآنية. لذلك يعد الكتاب محاولة منه لدراسة متقدمة لمباحث التجويد وقواعد الأداء الصوتي وجعلها ميسورة ومفيدة ليس فقط لمقري القرآن الكريم بل وكذلك لمذيعي الراديو والتلفزيون، وللممثلين والممثلات، ولخطباء المساجد وغيرهم (١٩٨٧، ص: ٤٨٥).

الإلتزام بالموضوعية والأمانة العلمية في ذكر مصادره وتعداد مراجعه، فكان ينسب الأقوال إلى أصحابها ويوثقها. إذ كان يعتمد إلى ذكر أسماء المؤلفين مع أسماء مصنفاتهم خلال عرضه ومناقشته لمباحث الكتاب.

من أسلوب الكتاب أنه أهدف كل مبحث تناوله بفصل فرعي تحت عنوان (الهوامش) زخرها بمعلومات إضافية للتعقيب والتعمق الأكثر، حتى نجد الهوامش تتجاوز المتن في مواطن كثيرة في الكتاب، كما أنه قدّم في نهايته ملخصاً تيسيراً لتلك المسائل التي تناولها، ولعل السبب في ذلك يعود إلى إدراكه العميق لمستوى القاري، إذ أنه فرّق بين القارئ المبتدئ والدارس للمسائل الصوتية قائلاً: «هذه خلاصة مستخلصة من الكتاب المفصل في التجويد وفلسفته وهو ما سمّيته (قواعد التجويد والإلقاء الصوتي) وذاك نظراً للحاجة إلى تجريد موجز منه لتسهيل تعلمه وتعليمه للمبتدئين، أما الذين يرغبون في التوسع في هذه الدراسة فإن الأصل الكامل للكتاب متيسر لهم ما رغبوا في ذلك» (الحنفي، ١٩٨٧، ص: ٤٣٥).

يعمد الحنفي في كثير من مباحثه إلى أن يأتي بتعريف الموضوع من خلال ما تعارفت عليه الدراسات الصوتية والتجويدية، ثم يصف مواضع الخطأ فيها ليتبنى وجهة نظره، وفي بعض الأحيان يقوم بصياغتها من جديد، فمن ذلك على سبيل المثال ما ذكره في تعريف الإخفاء ما نصّه: «لو أنهم قالوا: إنّ الإخفاء حالة بين الإظهار والإقلاب



لكان لذلك تحديد مقبول» (١٩٨٧، ص: ١٨٤).

غياب منهج واضح في ترتيب أبواب الكتاب: فإن الحنفي لم يراع تقسيمًا معيّنًا لموضوعات الكتاب، فهو يؤخر موضوعًا كان من حقه أن يتقدم، من ذلك ما يتعلق بصفات الحروف (صفة القلقلة) تناولها في الجزء الأخير من الكتاب، وكذلك تداخل المادة الصوتية عنده على سبيل المثال ففي بداية الكتاب يتناول موضوع مخارج الحروف ثم يستطرد ويسهب الكلام على الإملاء العربي، ثم يعود يتناول (صفة الاستعلاء) في الحروف، ثم يدخل في ذكر الأحكام الصوتية.

تميّزت اللغة المستعملة في الكتاب بدقة عالية في التعبير مع وضوح العبارات، التي ملكها الحنفي من إلمامه بلغة القرآن الكريم ومصاحبة أهلها، فضلًا عن بحثه المتواصل في الدراسات الصوتية. وهذا ما جعله أن ينتقد بعض عبارات علماء اللغة ويصفها بأنها قاصرة عن التفسير الدقيق، إذ كثرت في الكتاب عبارات (هذا كلام لا مفهوم له)، و(مفهوم مختل مضطرب قاصر عن إثبات معنى ما) و(إنّه في غاية الوهم)، (خانه التعبير الدقيق)، (وهي عبارات ليست من دقة الوصف) وغيرها (١٩٨٧، ص: ٣٦، ١٨٤، ٢٤٠).

يحتوي الكتاب على نماذج تطبيقية من آيات القرآن الكريم، لكن هذا لم يمنعه من الإستشهاد بألفاظ الناس والشعر لكونها جزءًا من متن اللغة. لذلك تمثلت الشواهد في الكتاب أنماطًا مختلفة من اللغة. يقوم منهجه في عرض المادة الصوتية على التحقيق والتدقيق والمناقشة والتقويم، إذ يذكر الآراء ويناقشها فيختار ما يناسب نظريته أو يرفضه، وهذا الأسلوب واضح كل الوضوح في تناوله لموضوع مخارج الحروف و ظاهري الإدغام والإقلاب وغيرها.

إنّ موضوعات الإدغام والإقلاب أقيمت على تصور صوتي محض، وهذا التصور أدى به أن يخالف علماء الأصوات والتجويد.

بما أنّ الحنفي يذكر المصطلحات التي شاعت في كتب اللغة إلا أنه في بعض الأحيان كان يلجأ إلى استعمال مصطلح جديد أو استعماله في غير ما استعمل في كتب اللغة، ومن هذه المصطلحات (الإشمام، والإخفاء، والتّماس).

- مصادر المادة الصوتية عند الحنفي :

يقول الحنفي في نهاية كتابه (قواعد التجويد والإلقاء الصوتي): «وقد استغرقت فترة تأليفه بضع سنوات كان المؤلف يراجع خلالها أكبر عدد متيسّر من المراجع الصوتية المطبوعة والمخطوطة وقد سافر -أوفد- إلى أكثر من قطر عربي لهذا الغرض فاطّلع على المصادر والتقى بعلماء التجويد والصّوتيات المتميّزين وكان كذلك قد وجه من قبل إلى فريق منهم- خلال فترات متكررة رسائل في ذات الموضوع يحتفظ بأجوبتهم عليها» (١٩٨٧، ص: ٤١٧). ويقول في موضع آخر: «إنّ عدّة معدودة من المسائل المثبتة في الكتاب ترجع إلى اجتهادات المؤلف ودراساته الخاصة التي لم يتنبّه لها الباحثون في الأصوات من قدامى ومحدثين» (١٩٨٧، ص: ٤٢٣).

إنّ ظاهر هذا الكلام يبين منهجية الحنفي في دراسة الأصوات والتي تتمثل في الاعتماد على مصنفات العلماء التي شهدتها الدراسات الصوتية من جهة وكذلك من جهة أخرى في الاعتماد على ما توصل إليه الحنفي نفسه من نظريات وآراء انفرد بها ولم يسبقه أحد. ويمكن أن نتلمس آثار هذا الانفراد في تناوله للظواهر الصوتية.

بلغ عدد المصادر والمراجع في الكتاب (٦٥) مصدرًا، فمن خلال استقراي لهذه المصادر تبين لي أنها تنوعت بين كتب علماء اللغة والتجويد قديمًا وحديثًا، لكن إن أردنا تحديد طبيعة هذه المصادر وجدنا أن مؤلفات التجويد طغت على مباحث الكتاب بشكل واسع، أما المؤلفات اللغوية القديمة فتكاد لا تجد لها أثر في الكتاب اللهم في مواضع قليلة، التي كانت من نصيب (ابن جني) (وسيويه).



من ذلك نستشف أنه كان يعتمد إلى إحضار أقوال العلماء ليضعها تحت مجهره للنقد والتقييم، أو ليعزز به رأيه، لكن الكثير من مباحث الكتاب من اجتهاداته وآرائه الشخصية، حاول من خلالها أن يتبنى نظرتة الصوتية للظواهر التي وقف عندها، والتي أدى به لاحقاً أن يخرج عن سنن المؤلفين. وكل هذا ما جعل د. حقي عبدالرزاق أن يصرح بأن «سعة اطلاع الحنفي على مباحث علمي القراءات والتجويد كشفت لنا أسرار صوتية لم يسبق إليها شأنه في ذلك شأن المجتهدين من أئمة اللسان الذين بلغوا بعلم الأصوات مبلغاً دقيقاً متطوراً» (٢٠١٣، ص: ٢٨٦).

المقامات والموسيقى

هناك جانب معرفي آخر من اهتمامات الحنفي بالصوتيات والموسيقى، جال فيه قلمه وتجلي واضحاً في كتاباته وأبحاثه، وهو المقامات، فكان له جهد ثمين في هذا الميدان، إذ سعى إلى تأسيس مؤسسة مقامية تحمل الكثير من النقد.

لذلك اهتم الحنفي منذ بدايات القرن العشرين بالمقام العراقي (غناء وأنغاماً وقراءً وعازفين باعتباره أحد خصائص بغداد التراثية، إلى أن كتب عام ١٩٦٤م (المغنون البغداديون والمقام العراقي)، تضمن دراسة لتأريخ المقام العراقي وأنواعه. كما ذيل الكتاب بترجمة (٢٣٠) شخصية من قراء المقام العراقي. فمن هذه الزاوية يشبه بمعجم مختصر في التراجم، فضلاً عن ذلك يعد الكتاب من النفاثات الفولكلورية التي جاد بها الحنفي والتي فتحت نافذة على النغمة في بغداد، والحس الموسيقي لدى المغنيين، وعلى الأدوار التي تؤديها المقامات في المراسم الدينية (الحنفي، ١٩٦٤، ص: ٣).

إنَّ ما يميز منهجه في المقامات أنه كان يستقري المعلومات ميدانياً بوساطة ما كان يسمعه من الأغاني في العديد من الممارسات الدينية، وثبت ملاحظاته ومشاهداته في عدة مصادر خصَّ بها المقام العراقي، لذلك جاءت كتاباته أصلية اعتمدت في جمع معلوماته على كبار السن، يوضح ذلك العديد من الاشارات التي وردت في مجلة الفتح فالشيخ (روى لي) و(أملى علينا هذا الجانب من الموسيقى) و(حدثنا أحد معلمي بغداد.. وغيرها) (شاكر، ٢٠١٢، ص: ١١).

كما أن إسهاماته في هذا الميدان، أدت به إلى تأليف وتحقيق عددٍ من كتب موسيقية أخرى، ونشره أبحاث علمية في المجلات العربية، فضلاً عن عددٍ من المخطوطات التي لم تطبع من بعده. ومن الدراسات الأخرى أصدر الحنفي عام ١٩٨٩م كتابه (مقدمة في الموسيقى العربية) استكمالاً للبحث في الأغاني العراقية وسلامها الموسيقية. ذلك ومن الكتب التي حققها كتاب (الدرر النقي في علم الموسيقى) للشيخ أحمد بن عبدالرحمن القادري الرفاعي.. ومن مقالاته المنشورة في المجلات، مقال (حول المقام العراقي) نشره في مجلة المورد، (١٩٧٤، ص: ٢٥)، ومقال (الأساطير الموسيقية)، في مجلة الأقلام (١٩٦٤، ص: ٥٢). أمّا آثاره غير المطبوعة في هذا الحقل فهي: (المقام العراقي تأريخه وأصوله)، ومستدرک (المغنون البغداديون).

٢- علم العروض

إن ارتباط الحنفي بالصوتيات والموسيقى والشعر جعله أن يكتب لاحقاً كتابه (العروض تهذيبه وإعادة تدوينه)، ويعد هذا الكتاب من أضخم مؤلفاته، وضع فيه خطة للعروض ترمي إلى تهذيبه وإعادة تدوينه (١٩٧٨، ص: ١٥). وقد بين دواعي تأليف هذا الكتاب قائلاً: «إن العروض ما يزال يدرس في المدارس والكلديات وتؤلف فيه الكتب الموجزة والمفصلة على ذات الهيئة التي وضعها الخليل بن أحمد الفراهيدي في القرن الثاني للهجرة، وتابعه عليها

المؤلفون والشرح والعروضيون...إن الكتب التي ألفت في العروض كثيرة كثرة ظاهرة، وما منها إلا ما أشار إلى ما في العروض من تعقيد وإطالة قول وكثرة ألقاب ومصطلحات ولكن دون المبادرة إلى علاج العلة واستئصال الشأفة» (١٩٧٨، ص: ٩-١٠).

من أجل هذا وقف على أهم مواطن الصعوبة التي شهدتها علم العروض من حيث المحتوى والمنهج في مؤلفات العروضيين قديمًا وحديثًا، وحاول معالجتها حسب ما رآه مناسبًا لهذا العلم.

وهذا ما جعل عبدالرزاق محيي الدين يقول عنه في مقدمة كتبه للكتاب بأنه: «أحد محاولاته الجريئة المخاطرة، يناقش فيه فنًا من فنون الأدب الدقيقة، ظلّ منذ عهد الخليل بن أحمد (١٧٥هـ) مثابة تقديس وتعبد، لم يتناوله بالتناول إلا القلة، ولم يخرج عليه خارج وكتبت له السلامة والعافية. والشيخ جلال في كتابه هذا ضرب من قواعد هذا الفن أكثر من قاعدة، وهزة أكثر من سارية، وخرج على جملة المواضعات» (١٩٧٨، ص: ٦).

أما ما يخص أسلوبه في الكتاب، فإنه لم ينس أن يبين الطريقة التي التزم بها، والتي يمكن تلخيصها فيما يأتي (الحنفي، ١٩٧٨، ص: ٢٠-٢١):

الإكثار من النماذج والشواهد الشعرية، والتي تمثل أمطاً مختلفة من الشعر وأغراضه.

الاستغناء عن ذكر أسامي الشعراء إلا في حالات جد نادرة، والسبب عنده يرجع إلى أن الأمر مرتبط بالشكليات وليس الأسانيد، فضلاً عن أن جمهرة كبيرة من الأمثلة الواردة في الكتاب هي من بعض ما لجأ إلى نظمه وصنعه. تجاهل أسلوب العروضيين في كتابة البيت الشعري عند التقطيع، والالتزام بإثبات الأرقام عند إيراد التفاعيل لإزالة الشك أو الغموض أو الخطأ الذي قد يقع في أثناء كتابة التفعيلة.

سرد الأوزان المنبثقة من البحور الشعرية التي جاءت عنده بمقتضى ترقيم لاحظته مرتكراً على أساس ثابت وهو مسافات الأبيات وعدة تفاعيلها.

أتبع كل فصل مفصل كتبه في البحور بفصل موجز مقتضب لخص فيه الموضوع تلخيصاً تاماً لالمام المطالع بمبادئ العروض.

تبقى محاولة جلال الحنفي في هذا الميدان من المحاولات العلمية الجادة، التي كانت تهدف إلى تجديد هذا العلم وتطعيمه بإضافات تسير فهم المتطلعين، وإنّ ما دونه في الكتاب كان من اجتهاداته الشخصية ووقوفه على العشرات من المصادر العروضية ما بين مخطوط ومطبوع مما عثر عليه أو سعى إليه داخل المكتبات العراق وخارجه (طارق، ٢٠٠٨، ص: ٣٧٥/١). أما ما يتعلق بحدود دعوته التجديدية في علم العروض وما يلاحظ عليه فيستحق الدراسة والنظر بغية الوصول إلى حقيقته.

٣- المعجم:

وقد نالت الدراسة المعجمية قسطاً وافراً من جهود الحنفي، إذ أنّه قام بوضع سلسلة من المعجمات اللهجية، حاول فيها تدوين عدد كبير من المفردات العامية وذلك بتتبع أصولها. فكثير منها رأت النور في حياته وطُبِعَتْ إلا قليلاً منها ظلت في شكل مسودات، ومن هذه المعاجم:

- معجم اللغة العامية البغدادية

ألف هذا المعجم في عدة أجزاء، طُبِعَتْ منها ثلاثة. طُبِعَ الجزء الأول سنة ١٩٦٣م، والثاني سنة ١٩٦٦، والثالث ١٩٩٣م، والأجزاء الباقية لا تزال مخطوطة، قال الحنفي في وصيته: «وبالنسبة لكتاب معجم اللغة العامية البغدادية جمعت قصاصاته في خزانات المكتبة، أتمنى أن يأتي من يحب بغداد ويطلع هذا الكتاب ليخلد لبغداد لغتها» (رشيد، ٢٠١٤، ص: ٩)، احتوى الكتاب على تأريخ اللهجة البغدادية وتفسير معاني مفرداتها وجملها وحروفها، سواء المفردات العربية، والأعجمية الدخيلة، كما تضمن المعجم كثيراً من العرف الاجتماعي لأهل بغداد، وبين تأثير

لهجة البغداديين بالغزوات التي تعرضت لها بغداد على مر العصور. لذلك نجد باسم عبدالحميد حمودي يقول واصفًا منهج الكتاب بأنه كان: «دليلاً لا على تتبع الحنفي للكلمة العامية المفردة بل لارتباطها باللغات الأخرى أخذًا وعطاءً وتطورًا ما يدل على متابعة دقيقة للتطور الخاص بالكلمة» (٢٠١٠، ص: ٧).

-معجم الالفاظ الكويتية في الخطط واللهجات والبيئة
أصدر الحنفي هذا المعجم بعدما سافر إلى الكويت لاستقصاء الألفاظ العامية الكويتية، فوفق في المدة الواقعة بين أوائل مايو، وأوائل يوليو من عام ١٩٦٠ يدوّن ما استطاع أن يدوّن من ألفاظ القوم، وخطط البلد، وبعض ما يتصل بالأنساب والتقاليد، وما إلى ذلك من المباحث الشعبية (١٩٦٤ ب، ص: ٣).

-معجم اللغة الصينية ومعجم اللغة اليمانية
عكف الحنفي في الصين على وضع معجم صيني عربي وهو أول قاموس في هذا الإطار، وكانت طريقته في استخدام هذا القاموس يقوم على مساعدة الناطقين باللغة العربية على نطق المقاطع الصينية من خلال حروف تكون مشابهة للأصوات الصينية، إذ أنه اخترع له حروفًا جديدة لتصوير الأصوات الصينية، حيث جعل على سبيل المثال أربع نقاط لحرف النون في حالة أشباع هذا الحرف بشكل واسع وثلاث نقاط في حالة أخرى ونقطتين وهكذا جرى العمل على حروف أخرى (ستار، ٢٠١٤، ص: ٧).

ولكنه مع إبداء نيته لإتمام هذا المشروع فعطل عليه إنجاز هذا العمل، كما أنه لم يحصل على الدعم المالي من الجهات الرسمية وغير الرسمية. لذلك اكتفى بنشر عدد من البحوث والمقالات التي تناول فيها كل ما يتعلق باللغة الصينية من حيث خطها وأصواتها وألفاظها (الحنفي، ١٩٦٩، ص: ٦٨).

أمّا ما يتعلق بمعجم للعامية اليمانية، فيبدو أنه خطط لوضع معجم لها لتدوين ألفاظها المحلية التي يتداولها سكانها، ومع أنه شعر بضرورة إنجاز عمل كهذا في مجال البحث اللغوي المقارن ليستفاد منه في الوصول إلى جذور الألفاظ، لكنه لم تنهياً له الفرصة لزيارة اليمن، كما رأى أن شأن اللغة اليمانية مختلف عن باقي اللهجات، لأنها كانت في منجاة -حسب رأيه- من تسرب الألفاظ الأجنبية إليها إلا قليلاً. لذلك أورد في مقالاته التي نشرها بعض ألفاظها التي كان يلتقطها من أفواه زملائه اليمانيين الذين كانوا معه في الصين (الحنفي، ١٩٧٠، ص: ٢٤).

معجم الأمثال البغدادية
إن الأمثال جانب آخر من جوانب الحياة الاجتماعية التي تعكس سلوك الأفراد والجماعات، من هذا المنطلق حاول الحنفي تدوين ما استطاع من ألفاظ هذا الحقل، بعدما رأى أنها يجب أن لا تهمل أو تنسى، فوضع هذا المعجم وقال في مقدمته: «إن الأمثال العامية -هذه- تصلح أن تدرس دراسة اجتماعية، لما احتوته من التقاليد الشعبية والقيم المحلية فضلاً عما جاء في تضاعيفها من الإشارة إلى مختلف الصناعات والمهن والأحوال المعاشية» (١٩٦٢، ص: ١٣/١).

و لم يغفل عن أن يشير إلى أهم المحاولات التي شهدتها الدراسات اللهجية لتأليف معاجم الأمثال في البلاد العربية (الحنفي، ١٩٦٢، ص: ١٢/١).

ولسعة هذا المعجم لم يجد له بدءاً من تجزئته إلى جزأين، كما أراد أن يردف المعجم بجزء ثالث يجمع فيه تلك الألفاظ البذيئة أو ما يسمى بالأدب المكشوف التي كانت تلتقط من أفواه الناس، لكنه ظل مخطوطاً (رشيد، ٢٠١٤، ص: ٨).

معجم الأيمان البغدادية

وضع الحنفي هذا المعجم ليجمع فيه الأيمان الماثورة المتداولة بين الحالفين-على حد قول- عبد الحميد العلوجي: «كسباً لثقة، ودفعاً لباطل، وتعزيزاً لحق، وترفيهاً لنفوس ملت الجد فمالت إلى المعاتبة» (١٩٦٤ ج، ص: ١٢). وقد أشار المؤلف في مقدمة الكتاب إلى السبب الذي حمله على جمع الأيمان البغدادية وهو لما فيها من النماذج «التي تشير إلى العقليات الشعبية وهي تظهر في أدق المواطن وأخرجها حيث تُحمَل النفوس على أداء الأيمان بضروب وأنواع من الأحلاف صيغت ونسقت على غمط عجيب» (١٩٦٤ ج، ص: ٢٠)، ولهذا كان في جمعها وتدوينها ما يؤدي إلى إعطاء صورة واضحة للأجيال التالية على نهج أهالي بغداد في أيمانهم وأقسامهم، فضلاً عن أهميتها الاجتماعية ولما فيها من متعة وطرافة (١٩٦٤ ج، ص: ٢٠).

معجم الصناعات والحرف البغدادية:

كتب الحنفي هذا المعجم بعدما طلبته مديرية الفنون والثقافة الشعبية في وزارة الثقافة والإرشاد أن يضع كتاباً يبحث فيه الصناعات والحرف البغدادية، مما أدركه أهل هذا الجيل وما لم يدركوه بسبب انقراضه وزواله، يضاف إلى ذلك ما كان قد جد من صناعات وما اتخذها الناس بعد الحرب العالمية الأولى، فاستجاب الحنفي لدعوتهم فكتب بحثاً معجمياً للصناعات والحرف البغدادية، ويبدو أنه استوعب جمهرة كبيرة من الألفاظ والمفردات العامية الاصطلاحية، وفي هذا خدمة للفولكلور اللغوي وظاهرة الفائدة في مباحث تأصيل الألفاظ وتخرجها، وقد أثار المؤلف أن يكتبه بلغة بسيطة سهلة تكون أقرب إلى طبيعة هذا الموضوع الفولكلوري الشعبي المزدحم بالمصطلحات والتعابير (٢٠١٣، ص: ٣).

والحنفي في تناوله لموضوعات الكتاب حاول الرجوع إلى تاريخها وواقعها وتقديم أوسع الصور عنها، وتعزيز ذلك بالوقائع والطرائف، وهذه الصور ليست مقتصرة على البسطاء من الناس فقط، وإنما للثقافة حضورها في الصناعات والحرف الشعبية البغدادية. لكن مما يؤخذ عليه أنه ألف الكتاب دون اعتماد مصادر ومراجع معينة (رزاق، ٢٠١٤، ص: ١٩).

لم ينحصر تفكير الشيخ الحنفي المعجمي في قضايا تأليف المعاجم الخاصة فحسب بل شمل جوانب أخرى من الدراسات النقدية التي تحمل الكثير من الدقة في الملاحظة والتدقيق لألفاظ اللغة، فسجل جملة من المآخذ لأعمال المعجميين لما وقعوا فيها من أغلاط، ومن الأبحاث التي عني فيها بالنقد اللغوي دراسته لمعجم المساعد لـ (الأب أنستاس ماري الكرمل) بعنوان (نظرة في معجم المساعد) المنشور في مجلة المورد (١٩٧٢، ص: ٢٧٧). كما نشر عدداً من المقالات التي خصّها الحنفي لمجموعة من الظواهر اللغوية الصوتية والصرفية التي وجدها في مفردات اللغة العامية وتناولها بالبحث والاستقصاء منها مقالة (ثبت بأسماء الألوان في العامية البغدادية) في العدد الأول من مجلة التراث الشعبي، و(بحوث معجمية، أسماء الأصوات في العامية البغدادية) في العدد الثاني من المجلة نفسها في مجلة التراث الشعبي (١٩٦٣، ص: ٤٨، ٤٣).

الخاتمة:

إن أهم النتائج التي توصل إليها الباحثان يمكن تلخيصها فيما يأتي:

إن كتابه (قواعد التجويد والالقاء الصوتي) يدل على إدراك واضح للحنفي في وصف الظاهرة اللغوية معتمداً على تداخل العلوم، إذ جمع الكتاب بين دفتيه مباحث من علم التجويد وعلم الأصوات، إلى جانب عنايته بعلم الموسيقى والنغم، كل ذلك في ظل قواعد الأداء الصوتي. وعلى الرغم من ذلك نجد غياب منهج واضح في ترتيب أبواب الكتاب وفصوله.



لم يعتمد الحنفي على منهج واحد في الدراسة، وإنما تنوع بين مناهج البحث اللغوي، ففي المعجمات اعتمد على المنهج التاريخي في دراسة ألفاظ اللغة، الذي يعتمد على تتبع مراحل تطور الكلمة ودلالاتها، بينما في الصوتيات كان يجمع بين المنهجين الوصفي والمعياري.

لم تنحصر محاولة الحنفي في دراسة الأصوات في الإطار النظري بل أدى به ذلك إلى أن يدرسها دراسة عملية. إنَّ مصادر مادته في الصوتيات تنوعت بين مصادر اللغة وكتب التجويد، ولكن الكثير من مباحث الكتاب من بنات أفكاره واجتهاداته الشخصية، تبنّاها عن طريق قراءة مضمون المتن اللغوي، قراءة نقدية تفسيرية مبنية على أساس الملاحظة الذاتية، ثم تصحيحه أو تغييره بما هو يلائم طبيعة المادة اللغوية. أما ما يتعلق بعلم العروض فاتخذ مسارًا وسطًا بين الاتجاهين القديم والحديث، فهو لم يرفض التراث ولا أعرض عنه صفيًا، بل كان يسعى إلى تسهيل فهمه وتيسيره على الدارسين، حتى لو تطلب ذلك التغيير أو التبديل.

ژياننامەى شىخ جەلال ھەنەفىي و رىيازى لە لىكۆلېنەۋەى زمانەوانىيدا

پوختە

ئەم توژىنەۋەىيە ھەولەدەت تىشك بختە سەر بەشدارىيە زمانەۋانى و زانستىيەكانى (شىخ جەلال ھەنەفىي بەغدادىي) كە لە دووتوۋى كىتەكانىدا خستوونىيەتەرۋو، ۋە ئەمەش لەرگەى لىكۆلېنەۋەيان و دەرختى ئەو شىۋازەى كە لە نووسىنەكانىدا پەپەۋىكرىدوون. ۋەك چۆن جەلال ھەنەفىي بە يەككە لە ديارترىن پىسپۆرانى توژىنەۋەى زانستىي و زمانەۋانىي دادەنرەت، بەجۆرىك كە خاۋەنى گەنجىيەكى دەۋلەمەندە لە سەرچاۋەى زانستىي، كە زياتر لە ۴۰ كىتەپ لەخۆدەگرەت. ۋە بەشدارىيە زانستىي و زمانەۋانىيەكانى كۆمەلەك زانستى جۆراۋجۆر و جىاۋازى لەخۆگرتوۋە، بەجۆرىك كە بەكارىدەھىيان بۆ خزمەتكردى زمانى عەرەبىي، لەپروۋى لىكۆلېنەۋەى ئەو بابەتەنى كە پەيوەستى با زمانى عەرەبىيە، ۋەك زانستى دەنگ و فەرھەنگەكان و زانستى كىشى شىعر (عروض) و ...ھتە. ھەموو ئەمانەش سەرچاۋەدەگرن لە فراۋانىي كولتورى زانستىي و فرە بەھرىيەكانى جەلال ھەنەفىيە. بۆيە لەم توژىنەۋەىيەدا ھەولەدراۋە پىداچوونەۋە بە گرنگرتىن ئەو سەرچاۋانە بكرەت كە لە ماددە زمانەۋانىيەكەيدا پىشتى پىيەستوۋە، ھەروەھا ھەولەدراۋە شىۋازى پىشكەشكردى بۆ بابەتەكان و بنەماى شىكاركردىيان بھەنەپرو، پاشان پۆلەنكردىيان بەشىۋازىكى زانستىي. جەلال ھەنەفىي تەنھا گرنگىي نەداۋە بە گواستەۋەى بىرۆكەكان، بەلكو خاۋەن تىۋرى و بىروپۆچوونى جىاۋاز بوۋە كە لە نىو زمانناساندا تايبەت بوو بە خۆى، كە چەندىن شوپنى لە دووتوۋى بەرھەمەكانىدا تەرخانكرىدوۋە بۆ گەتوگۆكردىيان و لىكۆلېنەۋەيان، پىشتەست بە شىۋازى تايبەتىي خۆى و، ھەروەھا پىشكەشكردىيان لەسەر بنەماى زانستىي و بابەتىي.

كىلەلە وشەكان: زانستى دەنگ، لىكۆلېنەۋەى زمانەۋانىي، فەرھەنگ، زانستى كىشى شىعر.



Sheikh Jalal Al-Hanafi Al-Baghdadi, his biography and Approach to Linguistic study

This study attempts to highlight the linguistic and scientific contributions of (Sheikh Jalal Al-Hanafi), which were showcased in the roots of the content of his books, and this is done through studying them and showcasing the methods he took in his writings, as Jalal Al-Hanafi is one of the most prominent specialists in scientific and linguistic studies. Where he left us a rich treasure of literature that exceeded forty books of his writing. His scientific and linguistic contributions singled out various knowledge and sciences that he used to serve the Arabic language, in terms of researching topics that are dependent on the language such as its sounds, lexicon and others. All these are derived from the breadth of his scientific culture and the broadness of his talents and abilities. Therefore, in this research paper, we aim to review the most important sources of his linguistic material and explain his method of presentation and analysis.

Al-Hanafi was not just a transmitter of ideas, but he had theories and opinions that were unique to him amongst the linguists, and he devoted special places to them for research and discussion of his works, relying on his own style, and his unique way, and presenting them on a scientific and objective basis.

Keywords: Method, Phonetics, Linguistic Lesson, Lexicon, Slang Language, Prosody

المصادر والمراجع:

- الآلوسي، علي علاء الدين (١٩٦٧م)، الدُر المُنْتَثِر في رجال القرن الثاني عشر والثالث عشر، تح: جمال الدين الآلوسي، وعبدالله الجبوري، بغداد، دار الجمهورية.
- بصري، مير (١٩٩٤م)، أعلام الأدب في العراق الحديث، تق: د. جليل العطية، ط ١، دار الحكمة.
- الجبوري كامل سلمان (التأريخ غير متوفر)، معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى ٢٠٠٢، ط ١، بيروت، دار الكتب العلمية.
- الحنفي، جلال (١٩٧٨م)، العروض تهذيبه وإعادة تدوينه، بغداد، مطبعة العاني.
- الحنفي، جلال (١٩٦٢م)، الأمثال البغدادية، بغداد، مطبعة أسعد.
- الحنفي، جلال (١٩٦٤م)، المغنون البغداديون والمقام العراقي، بغداد، وزارة الإرشاد.
- الحنفي، جلال (١٩٩٧م)، شخصية الرسول الأعظم قرآنًا، بغداد، دار الشؤون الثقافية.
- الحنفي، جلال (٢٠٠٢م)، الحضارة الإسلامية من خلال الآي القرآني، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة.
- الحنفي، جلال (١٩٨٧م)، قواعد التجويد واللقاء الصوتي، جلال الحنفي، بغداد، وزارة الاوقاف والشؤون الدينية.
- الحنفي، جلال (١٩٦٢م)، الرُصافي في أوجه وحضيضه، مطبعة العاني، بغداد.
- الحنفي، جلال (١٩٦٤م)، معجم الألفاظ الكويتية في الخطط واللهجات والبيئة، بغداد، مطبعة أسعد.
- الحنفي، جلال (١٩٦٤م)، الأيمان البغدادية، بغداد، مكتبة النهضة.
- الحنفي، جلال (٢٠١٣م)، معجم الصناعات والحرف البغدادية، بغداد، دار ميزوبوتاميا.



- السامرائى، يونس إبراهيم (١٩٨٥م)، مجالس بغداد، بغداد، المكتبة العالمية.
المجلات والدوريات:
أنوار ناصر حسن (٢٠١٦م)، جلال الدين الحنفي وأثره الثقافي في المجتمع العراقي، مجلة كلية التربية للبنات، جامعة بغداد، المجلد ٢٧ (٥).
باسم عبد الحميد حمودي (٢٠١٠م)، شجاعة الشيخ جلال الحنفي، صحيفة المدى، العدد ١٨٠٠، بغداد، السنة السابعة.
جلال الحنفي (١٩٦٣م)، ثبت بأسماء الألوان في العامية البغدادية، مجلة التراث الشعبي، العدد الأول، دار الزمان، بغداد.
جلال الحنفي (١٩٦٣م)، بحوث معجمية، أسماء الأصوات في العامية البغدادية، مجلة التراث الشعبي، العدد ٢، بغداد.
جلال الحنفي (١٩٧٠م)، معجم للعامية اليمانية، مجلة الأديب، العدد ١٠.
جلال الحنفي (١٩٦٤م)، الأساطير الموسيقية، مجلة الأقلام، العدد ٤، بغداد.
جلال الحنفي (١٩٦٩م)، شيء عن اللغة الصينية وحكاية تأليف معجم صيني عربي، مجلة العربي، العدد ١٢٥.
جلال الحنفي (١٩٧٤م)، حول المقام العراقي، مجلة المورد، المجلد الثالث، العدد الأول، بغداد.
حقي عبدالرزاق لطيف الصالحي (٢٠١٣م)، الشيخ جلال الحنفي وكلام على قواعد التجويد والإملاء العربي، جامعة سامراء-كلية التربية، المجلد (٩)، العدد (٣٢)، السنة التاسعة.
رزاق إبراهيم حسن (٢٠١٤م)، الحنفي بين جلسة الوفاء والصناعات والحرف البغدادية، جريدة الزمان، السنة السادسة عشر، العدد ٤٧٩٠، بغداد.
رشيد الخيون (٢٠١٤م)، جلال الحنفي فقيه لم يسيء العلاقة بين الدين والدنيا، صحيفة المدى، العدد ٣١٧٦، السنة الثانية عشرة.
ستار جاسم إبراهيم (٢٠١٤م)، لقاء مع الشيخ جلال الحنفي، صحيفة المدى، العدد ٣١٧٦، السنة الثانية عشرة.
شاكر السعدي (٢٠١٢م)، الشيخ جلال الحنفي وتراث بغداد الموسيقي، جريدة المدى، السنة العاشرة، ع ٢٥٧٢، بغداد.
طارق زيدان خلف (٢٠٠٨م)، الشيخ جلال الحنفي سيرته وآثاره الفكرية وجهوده في تأصيل التراث البغدادي، مجلة كلية التربية، العدد ٨، السنة الخامسة.
علاء الأديب (٢٠١٦م)، أدباء منسيون من بلادي: الشيخ جلال الحنفي البغدادي، الصدى نت، <http://elsada.net>
ليد جلال الحنفي (٢٠١٤م)، في رحاب ذاكرة بغداد وشيخها جلال الحنفي البغدادي، صحيفة المدى، العدد ٣١٧٦، السنة الثانية عشرة.
محمد باسم (٢٠١٦م)، الشيخ جلال الحنفي، صحيفة التآخي، العدد ٧٠٨٦.
محمد صادق السامرائي (٢٠٢٠م)، جلال الحنفي مؤرخ موسوعي، جريدة الزمان، السنة الثانية والعشرون، العدد ٦٦٠٢، بغداد.
مهدي حمودي الانصاري (٢٠١٤م)، مقال (الشيخ جلال الحنفي)، صحيفة المدى، العدد ٣١٧٦، السنة الثانية عشرة..